



الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

قد يستبعد بعضنا النصر، فيقول: كيف ينتصر الشعب السوري الأعزل وقد تحزبت مع جيش بشار الأحزاب الظالمة من الفرس والروس، والقتال يدور في معظم المدن السورية، منذ أحد عشر شهراً، والقتل والجرحى بالألاف، والمعتقلين والمشردين أضعاف ذلك؟!

وقد يقال إن التفاؤل بالنصر والحالة هذه ليس له رصيد على أرض الواقع فكيف يمكن لشعبٍ أعزل لا يملك من المقومات سوى الحناجر والأيدي والقليل من الأسلحة الخفيفة أن يصدّم أمام جيش مدرج بالسلاح ومساندٍ من عدة جهات وقوى، كيف يصدق هذا التفاؤل؟ وما هذا الكلام إلا مجرد تغريب بهذا الشعب المغلوب، وكلام نظري بعيد كل البعد عن الواقع؟!.

فأقول واثقاً بوعد الله: لا شك في نصر الله لعياده المؤمنين عموماً وفي سوريا اليوم خصوصاً، ولكنني أسأله - عز وجل - أن يجعل نصره الذي وعد الله به في قوله - سبحانه وتعالى - : {أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعَ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَصْمَهُمْ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌ عَزِيزٌ}.

نعم! هدمت المساجد ودكت المتأذل بالمدافع والصواريخ، ولكن من ظن أن الله القوي العزيز لن ينتقم من هدم بيته، ولطخ بدماء المصليين جدرانها؟! وأحرق المصاحف ودنسها بالأقذار! وقتل الأطفال والنساء ومُثُلّ بهم. من ظن أن هؤلاء مجرمون يفلتون من انتقام الله فقد أساء الظن بالله، حاشاه وهو القائل: {وَكَأَيْنِ مِنْ قَرْبَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخْذَتُهَا وَإِلَيِّ الْمَصِيرُ}.

وقد يقول قائل: ليس بالضرورة أن يكون انتقام الله عاجلاً فيكون الأمر مجرد تفاؤل أو مزايدة لا رصيد لها من الواقع. فأولاً: لا شك أن الله - تعالى - قدر الأمور بأسبابها، ومن ذلك نصر المؤمنين على عدوهم وربط ذلك بأسباب عدة أهمها: الإيمان بالله وإقامة أركان الدين، وطاعة الله - تعالى - واجتناب معصيته؛ عندئذٍ يهياً الله لهم النصر، ويحقق لهم وعده كما قال - سبحانه - : {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌ عَزِيزٌ} * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}. ثم بين الله - تعالى - الذين وعدهم النصر فقال: {إِنَّمَا يُأْيِدُهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثْبِتُ أَقْدَامَكُمْ.

فنصر الله للمؤمنين حق لا شك فيه فقد قال - سبحانه وتعالى - : {وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} .

ومنها: إعداد القوة، كما قال - تعالى - : {وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْنَا مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ..} .

ولكن الذي يقيس الأمور بالقياس المادي لا يفقه قول الله - تعالى - : {كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} . وإن كان الله - سبحانه - يبتلي عباده بما يشاء اختباراً وتحميساً لهم ثم يجعل العاقبة لهم كما في قوله - سبحانه - : {أَمْ حَسِبُتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتُكُمْ مَثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَتُّهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَّ نَصْرُ اللَّهِ أَلَّا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} . قوله - عز وجل - : {وَلَا تَهُنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَإِنْتُمُ الْأَغْلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسِسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَخَذِّدُ مِنْكُمْ شُهُدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} .

وثانياً: من تأمل الواقع التاريخية الفاصلة، وعلم ميزان القوى فيها، وعرف كيف كانت نتائجها؛ تبين له أن النصر - بإذن الله - سيكون حليف المسلمين في سوريا، فقد تهيأ لهم عدد من أسباب النصر، ولم يبق إلا أن ينجز الله لهم وعده، فهو - سبحانه - القادر على كل شيء.

وسوف أستشهد على ذلك بنقل نبذة عن ثلات معارك فاصلة دارت رحاها على أرض الشام كان النصر فيها للMuslimين رغم الفارق الكبير في العدد والعتاد.

فأولها معركة اليرموك: كان عدد جيش المسلمين فيها ما بين ستة وثلاثين إلى أربعين ألفاً، بينما بلغ فيها جيش الروم مائتين وأربعين ألفاً، ثمانون ألفاً منهم مسلسل بالحديد والحبال، وثمانون ألفاً فارس، وثمانون ألفاً راجل.

ولما التقى الصفان لم تر إلا مخاً ساقطاً، ومعصماً نادراً، وكفأ طائرة. ثم حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على ميمنة المسلمين فأزالوه إلى القلب فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف منهم. ثم قال: "والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيت، وإنني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم". ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف مما وصل إليهم حتى انقض جمعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمين لا يمتنعون منهم.

ثانيها معركة حطين: التقى صلاح الدين بالصليبيين في تل حطين الذين جاؤوا بحدهم وحديدهم في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله - عز وجل - ، يقال كانوا خمسين ألفاً، وقيل ثلاثة وستين ألفاً، وجيش صلاح الدين قربة أثنا عشر ألفاً، فأقبل صلاح الدين ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة، حتى صاروا في عطش عظيم، وجاء العدو المخذول، في جمعٍ من ملوكهم، فتووجه الفريقان وتقابل الجيشان، وأسفر وجه الإيمان وأظلم وجه الكفر والطغيان، ودارت دائرة السوء على عبدة الصليبان، وذلك عشيّة يوم الجمعة، فبات الناس على مصافهم، وأصبح صباح يوم السبت الذي كان يوماً عسيراً على العدو وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر من سنة 583 هـ فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوى بهم العطش، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيمياً، وكان ذلك عليهم مشئوماً، فأمر السلطان برمي بالنفط، فتأجج ناراً تحت سبابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال، وتباز الشجعان، ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة فحملوا وكان النصر من الله - عز وجل - ، فمنهم الله أكتافهم فُقِّتل منهم ثلاثون ألفاً في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفاً من شجاعتهم وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم.

وثالثها معركة عين جالوت: فبعد أن اكتسح التتار العراق ودمروا بغداد ساروا إلى الشام فعاثوا فيها تقتيلاً وفساداً، ثم أرسل

هولاكو وهو نازل على حلب جيشاً مع أمير من كبار دولته يقال له: كتبغا، فلما بلغ سلطان مصر المظفر قطز ما كان من أمر التتار بالشام وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام، بادرهم قبل أن يبادروه ويرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه، فخرج في عساكره حتى انتهى إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغا، فأشير عليه بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو فأبى إلا أن يناجزه سريعاً، فساروا إليه وسار المظفر إليهم، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة 658هـ فاقتتلوا قتالاً عظيماً، فكانت النصرة - ولله الحمد - للإسلام وأهله، فهزهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل أمير المغول كتبغا وجماعة من بيته، واتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع، واتبع الأمير بيبرس وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، وهرب من دمشق منهم فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسرى من أيديهم، وجاءت بذلك البشرة والله الحمد على جبه إياهم بطشه فجاوتها دق البشائر من القلعة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً، وأيد الله الإسلام وأهله تأييداً. [بتصرف واختصار من البداية والنهاية لابن كثير].

وبعد، فما نقلته من هذه الأخبار إلا تذكرة وتسلية لإخواني في الشام، وبشارة بنصر الله - تعالى - القريب إن شاء الله، فسترورف أعلام النصر هنا في دمشق، وهناك في دير الزور، وفي درعا وحلب وفي حمص وحمادة وعلى الشام كله. فالبشائر خير شاهد، وأصدقها رجوع الناس إلى دين الله، فتأملوا تلك الوجوه النيرة والتکبيرات المتواتلة: الله أكبر الله أكبر.. ! وأصدق تلك البشارات قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((طوبى للشام! طوبى للشام!)) قيل: "ما بال الشام؟ قال: ((تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتها على الشام)). رواه الترمذى وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبى وصححه الأرنؤوط. قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((إن الله - عز وجل - قد تكفل لي بالشام وأهله)). رواه أبو داود وابن حبان والحاكم وقال صحيح، وصححه الألبانى في الترغيب والترهيب.

ومع هذا وذاك فالله - عز وجل - يقول: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}. ويقول - سبحانه - : {إِنَّ اللَّهَ الْأَمَّرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

اللهم انصر عبادك المؤمنين في الشام، وثبت أقدامهم، واجمع على الحق كلمتهم، يا ذا الجلال والإكرام.

المصدر: موقع لجينيات

المصادر: